

اللغة ودورها في التنشئة الاجتماعية والتفكير الإبداعي

نوال زلالي

جامعة أكلي محند أولحاج، Zellalinawal354@yahoo.fr

النشر: 2018/11/01

القبول: 2018/03/15

الاستلام: 2018/01/11

الملخص: نعالج من خلال دراستنا اللغة ودورها في التنشئة الاجتماعية والتفكير الإبداعي. كَوْن اللغة العنصر الأساس التي تعمل على الحفاظ على وحدة وتماسك المجتمع من خلال أداء دورها كأداة رابطة بين جيل وجيل، والكاشف عن عادات المجتمع ومستوياته الثقافية باعتباره الركيزة الأساسية في عملية التواصل، وأن يكون التفاعل بين أفراد المجتمع تفاعلاً ديناميكياً مستمراً بين التنشئة، والفرد يؤدي إلى نمو ذات الفرد تدريجياً، وأساس هذا التفاعل هو الفعل الاجتماعي.

ولولا وجود اللغة لما كان هنالك تبادل الأفكار والحوار وتلبية الاحتياجات للأفراد والمجتمع؛ لأنّ بدون اللغة لا تنهض أمة، ولا تتقدم في علمها وثقافتها فكلّ أمة تحافظ على لغتها، وضرورة تعليمها لشعبها بالشكل الصحيح، وإعدادهم إعداداً علمياً مناسباً ليتمكنوا من فهم التطورات السريعة والتغيرات المتلاحقة من حولهم، وأن يتفاعلوا معها حتى تنهض أمتهم العربية، وتسائر ما يدور حولها على أسس علمية تجعلها أمة متكاملة تسمو بثقافتها إلى الأفق تحفظ تراثها الأدبي والديني والعلمي. وهذا مبنّي على مراعاة ما تتسم به اللغة العربية الفصحى من مستويات تعبيرية ووظيفية وإتقانها استماعاً، وتحدثاً، وقراءة وكتابة ضروري من أجل التماسك الثقافي للأمة العربية وللإبداع الفكري.

الكلمات المفتاح: اللغة، التنشئة الاجتماعية، التفكير الإبداعي.

Language and its role in socialization and creative thinking.

المؤلف المرسل: نوال زلالي، Zellalinawal354@yahoo.fr

Abstract Through our study we try to analyze the language and its role in socialization and creative thinking from the perspective that language is considered a vital element in the process of preserving the unity and cohesion of society through its role as a link between generations, as well as its role in labeling social categories with its cultural backgrounds through its function as a communication tool. Language is certainly an important factor in the process of education and social dynamic relation based on productivity and creation.

Without language, there would be no exchange of ideas, dialogue and meeting which are considered necessary for both individuals and society . Without language, no nation will rise , no progress can be achieved in science and culture. Every nation maintains its language and the need to educate its people properly and prepare them scientifically to enable them to understand rapid developments and successive changes.

Thus the individual can come out of the boundaries of the group and try to acquire other nations experiences and knowledge in a way which enables him to be up to date with modern development in all streams of life in the era of globalization and technological communication.

Key Words: language, socialization, creative thinking.

المداخلة: تعدّ اللغة أداة من أدوات التفاهم والتّواصل بين أفراد المجتمع لا في ميدان العمل فقط ، بل في سائر ميادين الحياة. وبدون اللغة يتعذر نشاط الناس المعرفي ، فهي نشاطاً اجتماعياً متحوّلاً وليس كياناً موحداً، تعكس التحوّل والتنوّع الاجتماعي والثقافي. فهي التي تعدل سلوك الفرد لكي يتلاءم مع أفراد المجتمع فهي وسيلة تفاهم عالمية ، كما أنّها وسيلة الثقافات وأساس كلّ نشاط ثقافي. ومعنى ذلك أنّ التّنشئة الاجتماعية للفرد يجب أن تتجاوز خصوصيّة الثقافة الوطنيّة، وأن يتفاعل ويتعامل مع ثقافة عالميّة إنسانيّة ذات أبعاد ماديّة، ومعنويّة لاعتبارات تقدّم التكنولوجيا والاتصال والمعلومات لأنّ «الثقافة تساعد على تحقيق الوحدة الثقافيّة والتجانس بين أفراد المجتمع الواحد. كما أنّ الثقافة تمتلك قدرة على ابتداع أساليب جديدة في إشباع احتياجات والاهتمامات الثقافيّة والجماليّة لأفراد المجتمع»¹. وهي نظام دقيق، يتطلّب الكثير من المعارف، والمهارات؛ لأنّ عملية الاتّصال بين المتكلم والمستمع، أو الكاتب والقارئ، تمرّ بعدة خطوات في غاية الدقّة، وكلّ خطوة من خطوات

عملية الاتصال هذه، تحتاج إلى تعليم، وتدريب، بطريقة مباشرة، وغير مباشرة في الأسرة، ومن خلال المناهج المدرسية، والإعلام والفنون والآداب.²

ونعالج من خلال دراستنا اللغة ودورها في التنشئة الاجتماعية والتفكير الإبداعي كونه اللغة هي «عنوان أي أمة واللسان الناطق بهويتها المعبر عن خصوصياتها والمجسد لمقوماتها الفكرية والمعرفية».³ كما أنها نظام للتفكير، ورؤية للحياة حيث تملك كل المقومات التي تؤهلها كونه سمة إنسانية لجنسنا البشري «فاللغة منهج للتفكير ونظام للتعبير والاتصال. إن اللغة لا تعبر فقط عن الأفكار بل تشكل الأفكار فالتفكير ليس إلا لغة صامتة، فاللغة تولد الفكر، والأفكار تولد مكسوة لا عارية».⁴ فهي العنصر الأساس التي تعمل على الحفاظ على وحدة وتماسك المجتمع من خلال أداء دورها كأداة رابطة بين جيل وجيل والكاشف عن عادات المجتمع ومستوياته الثقافية باعتباره الركيزة الأساسية في عملية التواصل وأن يكون التفاعل بين أفراد المجتمع تفاعلاً ديناميكياً مستمراً بين التنشئة والفرد يؤدي إلى نمو ذات الفرد تدريجياً، وأساس هذا التفاعل هو الفعل الاجتماعي الذي ينقسم إلى ثلاثة أنواع، وهي كالآتي:

❖ منطقي معتمداً على الفعل؛

❖ عاطفي معتمداً على الأحاسيس؛

❖ تقليدي معتمداً على العادات والتقاليد.⁵

ويعدّ الفعل الاجتماعي «سلوك ظاهر (ouvert) لأنه يحوي التعبير اللفظي والحركات والإيماءات وهو سلوك باطن (couvert) لأنه يتضمن العمليات العقلية الأساسية كالإدراك والتذكر والتفكير والتخيّل وجميع العمليات النفسية الأخرى».⁶ وتكون ثقافة الفرد والجماعة نمط التفاعل الاجتماعي وتيسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية. ونسعى في هذه المداخلة الإجابة على الأسئلة الآتية:

- ما مفهوم التنشئة الاجتماعية؟
- ما الدور الذي تؤديه مؤسسات التنشئة الاجتماعية؟
- فيما تكمن علاقة اللغة بالثقافة؟
- كيف يمكن للتنشئة الاجتماعية أن تؤثر في التفكير الإبداعي لدى الفرد؟

1. تعريف التنشئة الاجتماعية Socialisation:

تعرف التنشئة الاجتماعية على أنها منظومة من العمليات التي يعتمد عليها المجتمع في نقل القيم الثقافية بما تنطوي عليه من مفاهيم، وقيم وعادات وتقاليد إلى أفرادها لتشكيل

شخصيتهم، والأدوار الاجتماعية المتوقعة من الفرد في مختلف المواقف الاجتماعية وهي تتحقق من خلال التفاعل.

ويعد دور كايم Dorkaim أول من استخدم مفهوم التَّشْئَة الاجتماعية بالمعنى التربوي.⁷ وهو أول من صوَّغ الملامح العلمية لنظرية التَّشْئَة الاجتماعية يقول: «فالتَّشْئَة هي العملية التي يتم فيها ومن خلالها دمج ثقافة المجتمع في الفرد، ودمج الفرد في ثقافة المجتمع، وهي وفقاً لهذا المعنى العملية الجدلية التي تربط بين الفرد وبين ثقافة المجتمع هي العملية التي يتم فيها بناء الثقافة داخل الفرد».⁸ ومن جانب آخر تعرف التَّشْئَة الاجتماعية على أنها «...عملية التفاعل التي يكتسب فيها الفرد شخصيته الاجتماعية التي تعكس ثقافة مجتمعه».⁹ فهي العملية التي يكتسب الفرد من خلالها اكتساب المعرفة والاتجاهات والقيم وأنماط السلوك الأساسية داخل المجتمع الذي ينتمي إليه.

وتعرف التَّشْئَة الاجتماعية من منظور اجتماعي بأنها عملية اجتماعية تعمل على تكامل الفرد في جماعة اجتماعية مثقفة عن طريق اكتساب هذا الفرد ثقافة الجماعة والمجتمع، ودوراً يؤديه في الجماعة.¹⁰ فهي العملية التي بواسطتها يتعلم الفرد طرائق مجتمع حتى يستطيع أن يتعامل معها، وهي التي تتضمن تعلّم واستيعاب.

كما يعرف قاموس علم الاجتماع التَّشْئَة الاجتماعية بأنها «العملية التي يتعلّم الطفل عن طريقها كيف يتكيف مع الجماعة عند اكتسابه السلوك الاجتماعي الذي توافق عليه هذه الجماعة».¹¹ فالتَّشْئَة الاجتماعية هي عملية تشكيل السلوك الإنساني للفرد وإكسابه ثقافة المجتمع بحيث يصبح في النهاية شخصية اجتماعية تعمل وفقاً لأحكام جماعتها وثقافتها.

ويعرف معجم علم النفس التَّشْئَة الاجتماعية بأنها العملية التي يكتسب الفرد من خلالها المعرفة والمهارات الاجتماعية التي تمكنه من أن يتكامل مع المجتمع، ويسلك سلوكاً تكيفياً فيه، وهي أيضاً عملية اكتساب الفرد للأدوار، والسلوك، والاتجاهات التي يتوقع منه في المجتمع.¹² فالتَّشْئَة الاجتماعية عملية تعلّم وتعليم وتربية، تقوم على التفاعل الاجتماعي، وتهدف إلى اكتساب الفرد: طفلاً فمراهقاً، فراشداً، فشيخاً، سلوكاً ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة، تمكنه من مسايرة مجتمعه والتوافق الاجتماعي معه، وتكسبه الطابع الاجتماعي وتيسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية.¹³

ومن خلال هذه التعريفات يمكن القول إنَّ عملية التَّشْئَة الاجتماعية هي عملية تحويل الفرد من كائن بيولوجي إلى فرد اجتماعي عن طريق التفاعل الاجتماعي ليكتسب بذلك سلوكاً ومعايير وقيم واتجاهات تدخل في بناء شخصيته لتسهيل له الاندماج في الحياة الاجتماعية أي له استعدادات عقلية وأخلاقية، ونفسية تتجاوب مع المؤثرات الاجتماعية، وتساعد في عملية التفاعل اللغوي التي تنمي قدراته المعرفية وتوسع علاقاته الاجتماعية. ونظم تفكيره وتمكينه من

تأدية أدواره الاجتماعية المحددة حتى يتمكن من مسايرة جماعته والتوافق الاجتماعي الذي يسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية وبالتالي يصبح عضواً فعالاً في المجتمع. ويكون قادراً على تحمل مسؤولية تقدمه، وضبط انفعالاته والتحكم في إشباع حاجاته بطريقة يقبلها المجتمع، ويتمكن من نقل ثقافته إلى الآخرين لأن الفرد أساس البناء الاجتماعي.

2. مؤسسات التنشئة الاجتماعية: تتولى مؤسسات التنشئة الاجتماعية تكوين شبكة

من العلاقات والتفاعلات الاجتماعية للفرد يكتسبها الملامح الأساسية لشخصيته بتنمية أفكاره من جميع الجوانب سواء الروحية، أو العقلية أو الجسمية، أو المعرفية، أو السلوكية ونحوها بما يتوافق ويتمشى مع معتقدات المجتمع وعاداته وتقاليده وأعرافه. وكما تسهل عليه التكيف والاندماج فيه، وهذا يكون بواسطة اللغة باعتبارها نظام معقد من العلامات الدالة التي يستطيع من خلالها الفرد تعلم المعرفة؛ لأنها هي من تنقل الثقافة عبر الأجيال «فاللغة هي مرآة الثقافة واللغة كذلك هي وعاء الذي يحوي بداخله كل أنواع النشاطات الثقافية... إن اللغة لا يمكنها أن تعيش من دون الثقافة، لأن الثقافة هي مادتها، وفي الوقت نفسه لا يمكن للثقافة أن تتطور وتتجسد على أرض الواقع من دون اللغة؛ لأنها هي الوسيلة التي تستعملها الثقافة ليتعرف الناس عليها».¹⁴ فالثقافة هي جوهر الحياة الاجتماعية. وتلعب دوراً مهماً في الحفاظ على القيم والمعايير في المجتمع غير أنها تفسح المجال للابتكار والتغير عن طريق الخبرات والمهارات المكتسبة؛ لأن التفكير الإبداعي يفتح آفاقاً واسعة في نهضة الأمة العربية في جميع ميادين الحياة. وهذا ما سنهتم ببيانه في صفحات هذه المقالة لاحقاً.

1.2 الأسرة: تمثل الأسرة نواة المجتمع، وهي البيئة الاجتماعية والثقافية الأولى التي

ينشأ فيها الفرد في المراحل الأولى من عمره، ويكتسب من خلالها قيم وتقاليده وسلوكاته مختلفة ومن أهم هذه السلوكات اللغة التي ينشأ على التحدث بها. وأن يمتلك الطفل القدرة على تنمية ثروته، وقدرته اللغوية على إدراك العلاقة بين الحروف والأصوات ونطقها من مخارجها نطقاً سليماً لاكتساب اللغة. ولا يمكن لأي مؤسسة أن تحل محل الأسرة في تنمية أخلاق الطفل ونمو لغته، وتنمية مواهبه الفنية، ما يعني اكتسابه للغة الأم الموجودة داخل بيئته، والتي يكتشف من خلالها القيم الدينية والأخلاقية السائدة في مجتمعه، وتساعد على إشباع حاجاته النفسية والاجتماعية بطريقة تساهم فيها المعايير الاجتماعية إلى غير ذلك من الوظائف التي تحققها لغة المحيط الأسري للفرد، والتي تجعله يتمسك بلغته ويرتبط بها.

وتعتبر اللغة الأم «أداة تواصل واتصال الطفل بثقافة مجتمعه وحضارته، فالطفل بمجرد ما يلقي به الرحم البيولوجي، يتلقاها الرحم الاجتماعي والثقافي الذي يولد فيه ويعيش، ليتصدى له بالتنشئة والتكوين».¹⁵

وتعد الأسرة الخلية الأولى في بناء المجتمع، وهي من المنظمات الاجتماعية الأكبر تأثيراً وأبقاها أثراً في نمو الطفل اللغوي فهي تهيئ البيئة الاجتماعية التي يشرب الطفل معاييرها ومثلها، وواقعها في تفكيره وسلوكه.¹⁶ كما أنها تلعب دوراً هاماً في تنشئة الطفل وبناء شخصيته بما فيه التنشئة اللغوية التي يتعرض لها داخل الأسرة. فاللغة تلعب دوراً فعالاً في حياة الأمة لذا لا بد من الاهتمام والعناية بها فهي وسيلة الاتصال والتفاهم بين الأفراد وتحقيق النمو المعرفي، وفي هذا الصدد قال ابن خلدون: «اعلم أن اللغة في المعارف عليه هي عبارة المتكلم عن مقصودة، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم».¹⁷ ومن هنا يجب «تشجيع الأطفال على الاختلاط بالراشدين فلفتهم أفضل نماذج لغوية يمكن أن يحاكيها وكلما اتصل الطفل بوالديه، وبالكبار عامة كلما كان على أكثر قدرة على الكلام مبكراً. ونجد أن تواصله مع الآخرين يساعده على تطوير قدرته على الكلام؛ لأنه يصبح في حالة محاكاة لغوية دائمة، لذلك يجب أن يقوم الآباء بتكريس وقت كاف للحديث مع أطفالهم، كما يقومون بتشجيعهم على التحدث في حضورهم».¹⁸ وهذا يساعدهم على تطوير قدراتهم على الكلام حيث يصبح الطفل في محاكاة لغوية تزوده بالألفاظ والكلمات بصورة مستمرة. ويتعلم كيفية التعامل مع مفرداتها، ومعانيها والعبارات التي يتواصل فيها مع محيطه «فيكون دور العائلة في هذا المجال تسهيل عملية الاكتساب اللغوي لدى الطفل بعرض نماذج جاهزة تساعد الطفل في تقبل المعلومات اللغوية وتفهمها، وتطوير ملكته الذاتية وتنميتها فيما يتعلق بالخصائص المميزة للغة محيطه».¹⁹ وهنا يقع دور الأسرة «في تشكيل شخصيته وتفكيره الإبداعي عن طريق التعرف على ما يمتلك من قدرات وتوظيفها مستقبلاً في أعمال وأفكار إبداعية»²⁰ دون الاعتماد على الآخرين.

وأن تعمل الأسرة في تعزيز مكانة اللغة العربية، وأن يتواصل الفرد في المستقبل مع من حوله بالعربية الفصحى. وفي هذا الصدد يرى المستشرق الإيطالي (جويدي) إن اللغة العربية الشريفة آية للتعبير عن الأفكار فحروفها تميّزت بانفرادها بحروف لا توجد في اللغات الأخرى كالضاد والطاء والعين والغين والحاء والطاء والقاف، وبثبات الحروف العربية الأصلية وبحركة البناء في الحرف الواحد بين المعنيين، وبالعلاقة بين الحرف والمعنى الذي يشير إليه. أما مفرداتها فتميّزت بالمعنى والاتساع، والتكاثر، والتوالد وبمنطقيتها (منطقية في قولها) ودقة تعبيرها من حيث الدقة في الدلالة والإيجاز، ودقة التعبير عن المعاني.²¹

2.2 المؤسسة التعليمية: تحتل اللغة العربية مكانة هامة في المؤسسات التعليمية

التعليمية، فالعربية الفصحى «هي جوهر الذاتية الخاصة للأمة العربية الإسلامية، والعنصر الرئيس في البناء الثقافي والحضاري الذي رفعت الأمة صروحه عبر الزمان. ولذلك كان التفریط في هذا الجوهر، تفریطاً في هذا العنصر الذي هو من أهم مقومات الأمة، بعد الإسلام دين الله الخالد».²² وتقوم المؤسسة التعليمية بوظيفة التربية «اذ هي مكّون ثابت للمواطنة، وأداة أساسية للتواصل، ووسيلة لاكتساب التعلّمات في مختلف المعارف والعلوم لأجل ذلك ينبغي تمكين المتعلم من تحصيلها وإتقانها ليوظّفها في مختلف الميادين سواء كان ذلك داخل المدرسة أو خارجها».²³ وفيها يتمّ التكفل بتهيئة المتعلمين للانتقال من الجوّ الأسري إلى عالم المدرسة الذي من المفروض أن يكون قد انتقل إليها لأوّل مرة باعتبار أنّ أكثر الأطفال لم يستفيدوا من التعليم التحضيري. فاللغة تتّصل بالمجتمع صلة وثيقة فهي الأساس الذي يعبر عنه المجتمع؛ ولأجل ذلك يتمثّل الغرض الأساس التي ترمي إليه المؤسسة التعليمية التعليمية في اكساب الفرد المقدرة على التّواصل بأنظمة اللغة العربية الفصحى شفويّاً وكتابيّاً، وان يكتسب معايير استخدام هذه اللغة سواء اللغوية، أو الاجتماعية أو الثقافية؛ بحيث تصبح لديه أساس تفكيره، ووسيلة تعبيره.

والجدير بالذكر أنّ «اللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية، وهي من أهمّ وسائل الارتباط الروحي بين أبناء الوطن والأمة والمقوم الأساسي للشخصية الجزائرية».²⁴ وتحديد مقوماتها؛ لأنّ «المدرسة بيت المعرفة وينبوع التفكير ومصدر التّجديد».²⁵ وهكذا تعدّ المدرسة نظام متكامل يتألف من مجموعة عناصر محدّدة ومتفاعلة فيما بينها له جملة أدوار اجتماعية، ووظائف محدّدة في إطار الحياة الاجتماعية.²⁶ وبذلك تأخذ المدرسة المرتبة الثانية بعد الأسرة «لكونها تشرف على عملية التّنشئة وتزوّد الطفل بالمهارات، والخبرات الاجتماعية، والعلمية والمهنية الجديدة الى درجة التّأهيل الاجتماعي المقبول».²⁷ فهي التي توفرّ التّمو الاجتماعي للمتعلّمين من أسر مختلفة في مفاهيمها وتصوراتها وبذلك تحقّق التّجانس الفكري والثقافي. ويتم هذا بتعليم الفرد أسس طبيعة الاتّصال اللّغوي وهذا يتمّ عن طريق الفنون الأساسية للغة، والتي تتمثّل في التّحدث والاستماع والقراءة والكتابة وتدريبهم عليها تدريجاً واسعاً ومثمراً. ويتحقّق ذلك بإكسابهم المهارات اللّغوية «والتي تسير جنباً الى جنب مع مهارات التّفكير الإبداعي؛ لأنّ اللغة بفروعها مرتبطة ارتباطاً كبيراً مع الإبداع فقد تشير مقالة سلسلة ومترابطة الى مهارة لغوية ولكنّها لا تشير بالضرورة الى مهارة بالتّفكير، وعلمنا أن نتطلع إلى ما يقع خلف المهارة اللّغوية، ونسعى الى انماء مهارة التّفكير، كذلك فنحن نحتاج إليهما معاً».²⁸ ويعتبر

التفكير الإبداعي «من أهم القدرات التي يجب أن تحظى باهتمام مميّز من قبل الأنظمة التربوية، إذا ما أرادت أداء الدور المنوط بها في عالم اليوم، هذا العالم الذي يتميز بكثرة التحديات والمشكلات التي يعيشها الأفراد والمجتمعات، وازدياد حدّة التنافس والصراع من أجل البقاء وإثبات الوجود».²⁹ وعليها أن توفر البيئة التعليمية المحفّزة للإبداع من وسائل تكنولوجيا ومكتبات، وبرامج تنموية لتنمية التفكير الإبداعي لما يترتب عليه من تطوّر في جميع مجالات الحياة، أي لما له من نتائج وتأثيرات إيجابية على تقدّم المجتمعات وبخاصّة أنّ العصر الذي نعيش فيه يمثّل قيمة التطوّر التكنولوجي الذي يدعوا إلى إيجاد مواقف إبداعية.

فمن المعلوم أن تنمية تفكير التلاميذ يرتبط بنوع التعلّم الذي حصلوا عليه «وطبيعة مكوناته، وهكذا أصبح هناك حاجة أكثر من أي وقت مضى إلى استراتيجيات تعليم وتعلّم تساعد التلاميذ على تنمية القدرات العقلية المختلفة، وقدرتهم على الإبداع وإنتاج الجديد المختلف، وتزويدهم بمهارات التفكير الإبداعي استعداداً لمواجهة الحياة».³⁰ فاللغة هي مجموعة من التصرفات الكلامية في المجتمع إذ ينبغي تعليم التلميذ قواعد استعمال اللغة في المجتمع، وتطوير الكفاية اللغوية التواصلية ويقصد بها المعرفة الضمنية بقواعد التواصل اللغوي في المجتمع، التي تفسّر لنا قدرة المتعلمين على استعمال لغتهم في بيئتهم الاجتماعية في مختلف ظروف التواصل.

كما أنّ اللغة العربية الفصحى ليست لغة طبيعية (لغة الأم) إذ لا تكتسب بقدرة فطرية؛ لأنّ لغة الأم هي اللغة التي تناغي بها الأم طفلها وتمثّل في اللهجات العربية التي يكتسبها الفرد بقدرة فطرية، وتعود على ممارستها بكلّ عفوية. كما أنّ «الملكة التي يكونها الطفل العربي في عاميته كثيراً ما تمثّل جزءاً مهماً من الملكة التي سيكونها في الفصيحة، ولذلك الفصيحة لغة بين الأولى والثانية في منظورها».³¹ معنى ذلك أنّ الطفل عندما يأتي إلى المدرسة يكون قد اكتسب ملكة أساسية باللغة التي هي لغته الأم. ويتوجب على المدرسة الأخذ بعين الاعتبار المستوى اللغوي الذي يمتلكه المتعلم حتى لا يشعر بالقطيعة بين مستواه اللغوي والمستوى اللغوي الذي تقترحه المدرسة حتّى لا ينفر من التعلّم.

ومن ثمة يصبح من الضروري الاهتمام، والتركيز على فهم التبادلات اللغوية المقترحة بين الفاعلين في الموقف التواصلية المستهدف لأنّ الفهم يأتي في المرتبة الأولى وبعد ذلك يأتي التدريب والممارسة وكثرة الاستعمال لتكوين المهارة لدى المتعلم، وفي حالة ما إذا مورست المهارة من غير فهم تعين المتعلم على حسن استخدامها وتوظيفها في المواقف التواصلية الجديدة.

ويؤكد المربون أنّ المهارة اللغوية تكون عند المتعلم، إذا ما توافرت فيها ثلاثة شروط هي:
«1- الممارسة بفهم».

2- التّوجيه: الاكتساب واستعمال المضمون التّواصلّي المستهدف (معنى ومبنى) في كلّ وحدة تعليميّة / تعلّميّة.

3- البيئة اللّغويّة المناسبة: على المعلم أن يحرص على إحاطة التّلميذ ببيئة لغويّة سليمة ومناسبة، إذ كلّما كانت البيئة المدرسيّة سليمة لغويّاً كلّما طوّر التّلميذ كفاءاته التّواصلية تلقائيّاً وسليقيّاً³². ومن هنا كان لزاماً على المدرسة أن تولي اهتماماً وعناية خاصّة فتجعل المتعلم يكتسب بوعي لغته العربيّة الفصيحة، وأن تعمل على كفاياته في استكشاف قدراته الإبداعيّة والعمل على تنميتها من خلال برامج تدريبيّة، وأن تسعى إلى التّنوّع والتّجديد في أساليب وطرق التّدريس بما يليب التّنوع والإبداع لدى الأفراد لأنّ تعليم اللّغة هو أن نجعل المتعلم في الدّرجة الأولى قادراً على التعبير اللّغوي السّليم فهو النّافذة التي نطلّ من خلالها على العالم الخارجيّ بواسطة اللّسان وانطلاقاً من ذلك على المعلم أن يسير وفق خطة متكاملة، وأن يستعين في تنشيط الحصص بمخطط نشاط التّعلم بمراعاة التّدرج في تقديم الدّروس وفق ما تتحمّله عقول التّلاميذ ويسمح به مستواهم المعرفيّ والوجدانيّ والحسيّ والحركيّ، من أجل تذليل الصّعوبات التي تعترض المتعلم أثناء العمليّة المعرفيّة وأيضاً نفادي الأخطاء اللّغويّة في مجال تعلّم اللّغة العربيّة الفصحى؛ لأنّ الخطأ اللّغويّ يؤدي بالمتعلّم إلى الضّعف، وعدم قدرته على الاستيعاب وامتلاك القواعد الأساسيّة للغة وانحرافه عن النّظام اللّسانيّ بكلّ نواحيه الصّوتيّة والتركيبيّة والدّلاليّة. وعلى المهتمين بالعمليّة التّعليميّة الاهتمام بظاهرة الخطأ اللّغويّ في الأداء الكلاميّ سواء كان منطوقاً أم مكتوباً؛ إلّا أنّ المشكل الرئيس الذي يعاينّه تعليم اللّغة العربيّة الفصحى في عصرنا هو «أنّنا نحاول تعليم اللّغة العربيّة، ولكن الذي يجب أن نحاوله في الحقيقة إنّما هو اكتساب اللّغة العربيّة، وأن تكون هذه المحاولة على كلّ نطاق، في انسجام كامل بين المدرسة والمجتمع من حولها... وبين المدرسة وكلّ وسائل الإعلام»³³. وأن يتدرّب الفرد على استعمال قواعد لغته الفصحى بطريقة عفويّة بدون التّفكير في القواعد التّحويّة، ويتمكّن من فهمها وتحصيلها، وإتقانها مشافهةً وتحريراً بتجديد مكتسباته القبليّة في مختلف مقتضيات أحوال الخطاب، وعلى فهم مجتمعه حتّى تصبح لغة ثانية إلى جانب لغته الأم التي اكتسبها في محيطه. بقدر ذلك تكسب هذه اللّغة قوّة وحيويّة ورونقاً وثراءً وتطوّراً مثل الكائن الحي الذي ينمو ويتطوّر واللّغة تختلف من بيئة إلى أخرى فليس كلّ النّاس يتكلمون بنفس اللّغة، وعلى سبيل المثال العرب يتكلمون العربيّة، وأمريكا تتكلّم الانجليزي، وهكذا.

3.2 وسائل الإعلام

تلعب وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية دوراً مهماً في نشر وتقديم المعلومات السليمة، والحقائق الثابتة للناس، وتوسيع مداركهم وإقناعهم بأن يسلكوا سلوكاً معيناً أثناء مزاولتهم للأنشطة الثقافية الاجتماعية إذ أصبح الإعلام يحتلّ في عصرنا «مكان الوالدين والمدرسين في نقل العلم والمعرفة إلى الأفراد فأصبح معظم التعليم يتم خارج الفصل الدراسي، وأصبحت الكمية الفائقة من المعلومات التي تنقلها الصحف، والمجلات والأفلام، والإذاعة، والتلفاز في أماننا هذه تفوق بكثير كمية المعلومات التي ينقلها مدرس الفصل».³⁴ وتؤثر الوسائل الإعلامية تأثيراً مهماً على تطور اللغة العربية الفصحى بما تحمله من قيم، ورموز، وعمق تاريخي، وبعد أيديولوجي.

فانتشار اللغة وتطورها مرتبط بالإعلام ومدى اهتمامه باللغة كونها إحدى الركائز الأساسية التي تمنح لوسائل الإعلام القيام بمختلف الوظائف الاجتماعية في نقل الثقافات الفكرية المختلفة بطريقة معينة؛ إلا أنّ وظيفته الأولى وأخطرها هي «الوظيفة اللغوية إما بالتطوير والتحديث، وإيجاد ألفاظ واصطلاحات جديدة، وأساليب جديدة، وإما بالنشر والتعليم بترسيخ ألفاظ واصطلاحات وعبارات، أو بإقصائها وإخفائها وإيجاد بدائل لها».³⁵ فالإعلام هو التبليغ والإبلاغ أي إيصال المعلومات ويقال: بلغت القوم بلأغا أي أوصلتهم الشيء المطلوب والبلاغ ما بلغك أي وصلك، وفي الحديث "بلغوا عني ولو آية" أي أوصلوها غيركم.³⁶

ويعرفه الأستاذ سمير حسين: «بأنه كافة أوجه الأنشطة الاتصالية التي تستهدف تزويد الجماهير بكافة الحقائق والأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة عند القضايا والموضوعات، والمشكلات، ومجريات الأمور بطريقة موضوعية».³⁷ ولا تكون لتلك المعلومات والمعارف جدوى ما لم تنقل للجمهور بلغة فصحة خالية من كلّ الأخطاء التي تخالف النظام اللغوي العربي (نحواً أو صرفاً أو إملاءً أو لغةً أو تركيباً) التي تحفظ اللغة العربية أصالتها، وتصور تراثها، وتبرز شخصيتها، وترفع مقام أهلها وترقي حضارتهم.

ومما لا شكّ فيه أنّ وسائل الإعلام المختلفة لها الفضل الكبير في نمو وازدهار اللغة العربية لأنّ الإعلام في ظاهره أقوى وسيلة في المحافظة على سلامة بنية وأصول اللغة العربية الفصحى ونشرها، كما أنّها قادرة على تنمية الملكة اللغوية عند المتلقي، والابتعاد قدر الإمكان عن اللهجات العامية ممّا يشكل خطورة على قوّة اللغة وحيويتها في البرامج التعليمية، والترفيهية، والأنشطة الثقافية، والدينية وخصوصاً التاريخية والاعتناء أكثر ببرامج الأطفال باعتبارها تبني جيلاً يجيدون لغتهم القومية، وخاصة أولئك الذين لا يحسنون القراءة والكتابة، وتقريب الفصحى إلى ألسنتهم وبناء القاعدة اللغوية والثقافية فتيسر عليهم التعامل بها فيما بينهم.

وتحتل وسائل الإعلام المسموعة والمرئية موقعًا مساندًا للعملية التعليمية والتربوية مما أصبح يعرف اليوم بالتعليم الإلكتروني، وتوظيف تكنولوجيا المعلومات لصالح التعليم والتربية. فهي تؤثر تأثيرًا بالغًا وواسعًا في اللغة العربية سواء على مستوى مكانتها بين اللغات الأخرى، أم على مستوى أنظمتها ومضامينها الدلالية. فهي تساعد في تثقيف الناس وفي تعميم اللغة العربية الفصحى وتنميتها لدى المشاهدين بتزويدهم بحصيلة وافرة من المفردات، وصيغها وتراكيبها «فالألفاظ وأساليب القول المختلفة تتردد وتكرر خلال التلفاز مقترنة في الغالب بالصور الملونة والمشاهد والحركات، أو الأصوات المسموعة والطرق الأخرى الموحية المؤثرة وبذلك تتجسد، وتبرز حية في إطار عملي فعلي جذاب، مما يجعلها تعلق في الذهن وتثبت في الذاكرة، وترسخ مدلولاتها أو معانيها في تصور المشاهد والسماع والمنصت، ومما يزيد من أهمية هذا الجهاز، وفاعلية دوره في تنمية المهارة اللغوية جنبًا إلى جنب مع تنمية الحصيلة الثقافية أنه مصدر متعة للكبار والصغار يشد إليه الناس على مختلف طبقاتهم وأصنافهم، وأعمارهم وأذواقهم ومستوياتهم العقلية والثقافية».³⁸

وعلى الرغم من الدور الإيجابي الذي قامت به على مستوى الاستعمال اللغوي في أجهزة الإعلام فقد أصابها قصور عن القيام بواجبها تجاه اللغة التي تستخدمها والتي تنتسب إليها. ويتجلى ذلك في شيوع الأخطاء النحوية واللغوية والصرفية في بعض البرامج التلفزيونية والإذاعية، واستعمال اللهجة العامية في مخاطبة المتلقي العربي بحجة أنها تسهل وصول الرسالة الإعلامية، ووصلت إلى هدفها المنشود إلى المتلقي، وهذا يشوه اللغة العربية وتقضي على أصالتها من خلال تحريفها وتهميشها. ونشير هنا إلى أن اللهجة العامية تضيق فهم المتلقي، وتقلص دائرة معارفه فهي بذلك تمس الوحدة اللغوية بين الأقطار العربية، ولا تصلح لحمل التطور الثقافي والعلمي الإعلامي إلى العالم العربي.

ويوجب إعادة النظر في البرامج الإعلامية ووضع خطة علمية محكمة تستهدف خدمة اللغة العربية، وتطويرها، وتنميتها لمتطلبات العولمة باعتبارها لغة قادرة على التكيف مع عصر العولمة والمعلوماتية. وعلى الهيئات المختصة أن تعمل على رفع مستوى سلامة اللسان العربي من آثار الزكاة والخطأ الشائع واللعن، وما إلى ذلك مما يضر باللغة العربية وفصاحتها.

ويتبين مما سبق أن لولا وجود اللغة لما كان هنالك تبادل الأفكار والحوار وتلبية الاحتياجات للأفراد والمجتمع؛ «لأن بدون اللغة لا تنهض أمة، ولا تتقدم في علمها وثقافتها فكل أمة تحافظ على لغتها وضرورة تعليمها لشعبها بالشكل الصحيح».³⁹ وإعدادهم إعدادًا علميًا مناسبًا ليتكفوا من فهم التطورات السريعة، والتغيرات المتلاحقة من حولهم، وأن يتفاعلوا معها حتى تنهض أمتهم العربية، وتساهم ما يدور حولها على أسس علمية تجعلها أمة متكاملة تسمو بثقافتها إلى الأفق تحفظ تراثها الأدبي، والديني والعلمي. وهذا مبنًى على مراعاة

ما تتسم به اللغة العربية الفصحى من مستويات تعبيرية ووظيفية وإتقانها استماعاً وتحديثاً وقراءة، وكتابة ضروري من أجل التماسك الثقافي للأمة العربية وللإبداع الفكري. وبذلك يستطيع الفرد أن يخرج من حدود الجماعة ويتصل بالمجتمع ليحقق احتياجاته ويطلع على تجارب وخبرات الأمم الأخرى على ما يجري فيها من أحداث وتطورات، ويكتسب خبرات واسعة، ومعلومات أكثر خاصة مع سرعة التغير التي مسّت مختلف الميادين الاجتماعية، والاقتصادية والثقافية، يسمح له مسيرة عصر تكنولوجيا المعلومات.

الهوامش:

- ¹ - معاذ عليوي، الثقافة والمجتمع، 3 يناير 2016 .
<https://www.makalcloud.com/post/4dsnk65cf>
- ² - القرعي، أحمد يوسف، لغتنا العربية وعاء ثقافتنا، اليمن: 2006. www.althawra.net
- ³ - عبد العزيز بن عثمان التويجري، حاضر اللغة العربية، مطبعة الإيسيسكو، دط، الرباط، 2013، ص 7.
- ⁴ - علي أحمد مذكور، مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها، دار الفكر العربي، ط1، 2001، ص 37.
- ⁵ - دينيكن ميتشيل، معجم علم الاجتماع، تر: داسان محمد الحسن، دار الطليعة للطباعة و النشر، دط، بيروت 1981، ص 13.
- ⁶ - التفاعل الاجتماعي. <https://ar.wikipedia.org/wiki/>
- ⁷ - علي أسعد وطفة، علم الاجتماع التربوي، مطبعة الاتحاد، دط. سوريا، 1992، ص 39.
- ⁸ - علي أسعد وطفة، "التنشئة الاجتماعية ودورها في بناء الهوية عند الأطفال"، مجلة الطفولة العربية، الكويت 2001، العدد 8، ص 92-93.
- ⁹ - فوزية يوسف العبد الغفور، أحمد إبراهيم، "أساليب التنشئة الاجتماعية في مرحلة الطفولة المبكرة عند الأسر الكويتية"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، يصدرها مجلس النشر العلمي، الكويت، 1998، العدد: 64، ص 62.
- ¹⁰ - الشيخ كامل محمد محمد عويضة، سيكولوجية التربية، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1996، سلسلة علم النفس، رقم الكتاب 8، بتصرف.
- ¹¹ - محمد عاطف عيث، قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، القاهرة، 1979، ص 449.
- ¹² - جابر عبد الحميد، علاء الدين كفاي، معجم علم النفس والطب النفسي، دار النهضة، القاهرة، 1995، ج 7 ص 360.
- ¹³ - صلاح الدين شروخ، علم الاجتماع التربوي، دار العلوم للنشر والتوزيع، دط. عنابة، 2004، ص 57.
- ¹⁴ - محمد الدريد، اللغة والثقافة، مجلة الثقافة العربية، الرياض، 2015، العدد 451، ص 45.

- ¹⁵ - أحمد أوزي، اللغة الأم والتربية على قيم المواطنة، مطبعة النجّاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 2008 ص 38.
- ¹⁶ - شيل بدران، الاتجاهات الحديثة في تربية طفل ما قبل المدرسة، الدار المصرية، ط1، القاهرة، 2000 ص 246.
- ¹⁷ - ابن خلدون، المقدمة، دار الكتاب اللبناني، دط، بيروت، 1961، ص 1056.
- ¹⁸ - أنيس محمد أحمد قاسم، اللغة و التواصل لدى الطفل، مركز الإسكندرية للكتاب، دط، القاهرة، ص ص 186-187
- دت
- ¹⁹ - ميشال زكريا، مباحث في النظرية اللسانية وتعليم اللغة، ط2. بيروت، 1985، ص45.
- ²⁰ - تنمية الابداع عند الطفل مسؤوليتنا جميعاً.
- <https://www.tbceb.net/health>
- ²¹ - ع/ السيد محمود، طرائق تدريس اللغة العربية، دمشق: 1988 بتصرف.
- ²² - عبد العزيز بن عثمان التويجري، حاضر اللغة العربية، ص 7.
- ²³ - منهاج اللغة العربية، السنة الرابعة من التعليم المتوسط، ص 19.
- ²⁴ - منهاج اللغة العربية، السنة الأولى من التعليم الابتدائي، ص15.
- ²⁵ - سمح أبو مغلي، التدريس باللغة العربية الفصحى لجميع المواد في المدارس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، عمان، 1997، ص 39.
- ²⁶ - عبد العزيز خواجه. مبادئ في التنشئة الاجتماعية، دار الغرب للنشر والتوزيع، دط، وهران، 2005، ص 173.
- ²⁷ - مصباح عامر، التنشئة الاجتماعية والسلوك الانحرافي لتلميذ المدرسة الثانوية، شركة الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2003، ص 32.
- ²⁸ - دي بونو إدوارد، أدوات التفكير لتوجيه الانتباه برنامج Datt، الرئاسة العامة لوكالة الغوث الدولية دائرة التربية والتعليم، الأردن، 2000، ص 46.
- ²⁹ - عبد الغفار، عبد السلام، التفوق العقلي والابتكار، دار النهضة العربية، دط. القاهرة: 1997، ص 44.
- ³⁰ - الحارثي إبراهيم أحمد، تعليم التفكير، مكتبة الشقيري، ط3، الرياض، 2003، ص 3.
- ³¹ - عبده الراحي، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية، دط، القاهرة، 1996 ص 84.
- ³² - سعيد بوشينة، الأخضر أوصيف، دليل المعلم في تعليم اللغة العربية للسنة الأولى من التعليم الابتدائي ص 9/8.
- ³³ - شكري فيصل، قضايا اللغة العربية، مجلة من قضايا اللغة العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس، 1990، ص 44.
- ³⁴ - فاخوري، محمود سلطان، العربية في مضمار الإعلام، ج3، ص ص 658-659.
- ³⁵ - الجبر خالد عبد الرؤف، اللغة العربية في الصحف اليومية والأسبوعية في الأردن. مجمع اللغة العربية الأردني دط، الأردن، 2009، ص 661.
- ³⁶ - ابن منظور، لسان العرب، دار لسان العرب، ط1، بيروت، 1988، مج5، (مادة علم).
- ³⁷ - سمير محمد حسين، الاعلام والاتصال بالجمهور، دار الكتاب، دط، القاهرة، دت ص 22.

- ³⁸- أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية أهميتها مصادرها، وسائل تنميتها، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة 212، الكويت، 1996، ص ص 92-93.
- ³⁹- حنين زواهره، دور وسائل الإعلام في نهضة اللغة العربية. <http://a-language.ahlamontada.org>